المواطنة الرقمية :

التجليات والتحديات

■ د. عبد المجيد خليفة الكوت

الأكاديمية الليبية للدراسات العليا ، طرابلس

● **مستخلص البحث :**

يعرض هذا البحث لمفهوم المواطنة الرقمية الذي اصبح مفهوما محوريا في الدراسات السياسية بخاصة تلك التي تتعلق بنظرية الديمقراطية وتفريعاتها كالمشاركة السياسية والتنشئية السياسية والانتماء السياسي والوطني . حيث يلاحظ ان هذا المفهوم بدأ يتبلور في الادبيات السياسية بل ان عدة دول صارت تعول عليه في دعم اسس المواطنة عبر آليات عدة وفي هذا الشأن يمكن القول « أن دولا متقدمة مثل بريطانيا والولايات المتحدة وكندا تدرس لطلابها في المدارس مواضيع خاصة بالمواطنة الرقمية في اطار منهج التربية الرقمية . كما نجد في نفس الإطار المشروع الذي وصعته استراليا تحت شعار « الاتصال بثقة : تطور مستقبل استراليا الرقمي « والذي ينص على تعميم تدريس المواطنة للطلاب مع تدريب الاباء والمعلمين عليها وفق خطة وطنية متكاملة ، كما تخطط فرنسا لجعل موضوع المواطنة الرقمية قضية وطنية كبرى » [1] .

وفي المقابل يعرض البحث الى التجاذبات الفكرية والنظرية التي تواجه مفهوم المواطنة الرقمية وتتنازعه وكذا جملة الفرص التي توفرها المواطنة الرفمية القائمة على استخدام العامل التكنولوجي في دعم العمليات السياسية وتوجيه السوك السياسي للفرد وبناء المواطنة ، وايضا جمله القيود والمعوقات التي يمكن ان تحد من اطلاق مفهوم المواطنة الرقمية وتعميمه دون تحفظات . ويخلص البحث الى جملة من النتائج المهمة ذات الصلة بالمواطنة الرقمية في بعدها الفكري والعملي التطبيقي .

● **مقدمة عامة :**

في ظل عصر الإعلام الرقمي الجديد شهد مفهوم المواطنة تحولات عميقة على صعيد الكم والكيف وصار الحديث رائجاً عن مفهوم المواطنة الرقمية التي بدأت تتجسد واقعاً في الفضاء الاليكتروني . وبالمثل راج الحديث عن المواطن الرقمي ووصف الإنسان الفرد بأنه «كائن الاليكتروني ».

أن ادخال المتغير التكنولوجي في الحياة السياسية وفي صلب قضايا المواطنة احدثت نقلة نوعية

1 – **مصطفي الفايد . مفهوم المواطنة الرقمية . شبكة المعلومات الدولية 20 / 3 / 2014**

وكمية جديرة باتنباه أي باحث جاد وهي موضوع دراسي مهم بدأ يفرض ذاته خاصة مع النمو المتزايد لاستخدام تقنيات ووسائل الاتصالات ومواقع التواصل الاجتماعي التي بدأت تلعب دورا بارزا في تشكيل الحياة السياسية وفي اذكاء روح الوطنية وغرس جملة من المفاهيم والقيم التي تؤثر بشكل مباشر في دفع المشاركة السياسية وتوجيه الانتماء السياسي والوطني .

على خلفية ما سبق تسعى هذه الورقة إلى فحص مفهوم المواطنة الرقمية وإبراز تجلياتها ومظاهرها وكذلك تناول جملة التحديات التي تواجه ترسيخ فكرة المواطنة الرقمية " كمفهوم وكعملية " .

● مشكلة البحث :

يمكن صياغة الإشكالية الرئيسة لهذه الورقة البحثية في سؤال محوري مفاده : ما هو مفهوم المواطنة الرقمية في ظل ظروف واستحقاقات العصر الرقمي ؟ وما هي التجاذبات الفكرية والتيارات والاتجاهات التي تتنازع مفهوم المواطنة الرقمية ؟ وما هي الفرص المتاحة أمام تبلور هذا المفهوم وما هي طبيعة التحديات التي تواجهه ؟

● أهمية البحث :

تكتسب هذه الورقة البحثية أهميتها من اعتبارات عدة أهمها :

- موضوع المواطنة في ظل ظروف ومناخات الإعلام الرقمي الجديد يكتسب أهمية خاصة على الصعيد الاجتماعي والسياسي والإعلامي . وفي ظل تساؤلات عدة تطرح حول فرص ومخاطر التحولات الشكلية والجوهرية التي تطال موضوع المواطنة وتنعكس بقوة على نسيج المجتمعات المستقرة .
- موضوع الإعلام الجديد من الموضوعات التي بدأت تطرح نفسها بقوة على جدول الأجندات البحثية والأكاديمية كما على صعيد المؤسسات التخصصية والتي تعني بأمور المهنة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات . وتبدو مهمة استجلاء طبيعة تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على قضايا المواطنة من الأهمية بمكان .

●اهداف البحث :

تسعى هذه الورقة البحثية الى تحقيق الأهداف التالية:

- طرح مفهوم المواطنة للفحص والبحث والنقاش والتعرف على عناصره ومكوناته والأسس التي يقوم عليها ، والتعرض إلى الجدل الفكري والسياسي والقانوني والتاريخي الذي يدور حول هذا المفهوم .
- التعريف بمفهوم المواطنة الرقمية " المواطنة الاليكترونية " والفضاء الافتراضي وأدواته وآلياته ، وكذلك مظاهره وتجلياته .
- استعراض القيود والتحديات والمصاعب التي تواجه مفهوم وفكرة المواطنة الرقمية والتعرف على آثارها وايجابياتها وسلبياتها وجملة الآراء التي تتناول فرصها ومخاطرها .

منهجية البحث :

من أجل تحقيق أهداف الورقة البحثية يعتمد الباحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي ويعتمد في جمع البيانات والمعلومات على المصادر الأولية من إحصائيات ودراسات رائدة ، وكذلك مصادر المعلومات المكتبية التي تناولت هذا الموضع البحثي وأسهمت في إبرازه . ولتحقيق الأهداف المتوخاة التي تستهدف هذه الورقة البحثية لتحقيقها يقترح الباحث المخطط البحثي وفق المحاور التالية :

أولاً / المواطنة : الأسس والمفهوم والمكونات .

ثانيا / المواطنة الرقمية : المفهوم والتجاذبات .

ثانياً / المواطنة الرقمية : المظاهر والتجليات .

ثالثاً / المواطنة الرقمية : القيود والتحديات .

رابعاً / الخلاصة والنتائج .

أولا/ المواطنة : الأسس والمفهوم والمكونات

المواطنة مفهوم ذو دلالة سياسية وقانونية ، وهو مفهوم يثير الجدل الذي يتصل في المقام الأول بالناحية التاريخية لظهور هذا المفهوم وتبلوره ، فمن ناحية أولى تشير عديد الأدبيات إلى قدم هذا المفهوم وارتباطه بظهور الفكر السياسي اليوناني وتشكل الحاضرة اليونانية في دولة المدينة « Polis " ، وامتد ذلك إلى الحضارة الرومانية حيث اكتسب مفهوم المواطنة دلالة قانونية . ومن ذلك يرجع مفهوم المواطنة من " ناحية تاريخية إلى الحضارتين اليونانية والرومانية ، وقد استعملت اللفظتان مواطن Civis ومواطنة Civitas للدلالة على وضعية قانونية للفرد في أثينا وفي روما أيام الإمبراطورية الرومانية ، وكان المواطنون في أثينا هم الذكور الأحرار مالكي الأراضي وأبناء الطبقات العليا . بينما جرى استثناء النساء والأطفال والأجانب والعبيد من حقوق المواطنة " [1] .

بينما تؤكد أدبيات أخرى على إن مفهوم المواطنة مفهوم حديث يجد أساسه في ظهور الدولة القومية أو الوطنية في أوروبا ، وهو مفهوم غربي المنشأ تربطه الأدبيات بظهور الثورة الفرنسية حيث تعزز مفهوم المواطنة منذ بداية الثورة الفرنسية في نفس الوقت الذي ظهرت فيه فكرة الأمة وطلع مبدأ السيادة الوطنية ، ويمكن القول أن وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطنة لعام 1789 والتي تجسد في أول دستور فرنسي سنة 1791 تعتبر وثيقة ميلاد المواطن الحديث « [2] .

وعلى العموم يرتبط بمفهوم المواطنة حزمة من المفاهيم التي تتداخل في مكونات هذا المفهوم من أبرزها مفاهيم « الهوية – الانتماء – الجنسية « وهي مفاهيم تتوزع على أنماط سلوكية ومجتمعية وسياسية وقانونية . و لاستجلاء مفهوم المواطنة هناك من يحرص على التمييز

1 – مسعود موسى الربضي ، اثر العولمة في المواطنة ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 19 – صيف 2008 ، ص 115

2 – د. فتيحة اوهابيية ، في مفهوم المواطنة ، مجلة دراسات وأبحاث « الكتاب الدوري للمجلة – العدد الأول «، 2012 ، ص 11

بين عدة مفاهيم متداخلة مع مفهوم المواطنة ويرى ذلك ضرورة لاستيعاب مفهوم المواطنة ، إذ «يجب في البداية التفريق بين ثلاثة مفاهيم متداخلة مع بعضها البعض قبل تعريف مفهوم المواطنة ، فمفهوم الموطنة Citizenship Consciousness» " مثل العولمة والعلمنة هي حصيلة اجتهاد شخصي ، ولا تشكل أكثر من اقتراح أولي قابل للتعديل والتبديل ، أما من حيث المعنى فخي تدل كما يوضح المصطلح الانجليزي ، على عملية الإدراك الذهني لماهية المواطنة ولطبيعة الآليات التي تسير " المواطنية " في المجرى الذي يقود إلى تحقيق " المواطنة " وبتعبير آخر ، فهي مجموعة الأفكار والتصورات المتعلقة بالمواطنة وسبل تحقيقها . أما مفهوم " المواطنية " Citizenship Process " فهي العملية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤدي إلى تشييد المواطنة ، أما مفهوم المواطنة " Citizenship " ، فهو يشير إلى علاقة الفرد بالدولة التي يهيش في كنفها ويكن لها ولاء عمليا ، وولاء وجدانيا مقابل ضمان الدولة لعدم المساس بكرامته الإنسانية ، وصيانة لحقوقه الأساسية المتمثلة بحق العمل القائم على مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين ، وحق الاعتقاد الفكري بما فيه الديني والحزبي ، وحق المشاركة في القرارات السياسية عن طريق الانتخاب الحر والترشح للهمل السياسي " [1] .

وفي وجهة نظرنا الخاصة ، يمكن القول : أن مفهوم المواطنة يتعلق في المقام الأول بفكرة الانتماء الوطني ، ويمكن إعطاء تعريف إجرائي مهم لفكرة الانتماء الوطني الذي يعني «الشعور والرابط القوي الذي يربط بين الفرد ووطنه ، ويتجسد من خلال الاعتزاز بالهوية الوطنية واحترام رموزها ، والالتزام بالنظم والقوانين السائدة ، والعمل على المحافظة على الوطن وحماية ممتلكاته مع التمسك بقيمه وعادته ، والمشاركة بكل فخر في الاحتفالات الدينية والوطنية التي يزخر بها الوطن والمشاركة في الأعمال التطوعية التي تخدم البلاد ، والتضحية بالنفس والنفيس دفاعا عن الوطن» [2] .

وباختصار نجد أن المواطنة هي « الرابطة الاجتماعية والقانونية بين الأفراد ومجتمعهم السياسي الديمقراطي ، وهي المؤسسة الرئيسية التي تربط الأفراد ذوي الحقوق بمؤسسات الحماية للدولة . وعليه فهي عنصر رئيسي للديمقراطية ، ومن ثم تستلزم واجبات ومسؤوليات مهمة تصبح الديمقراطية عاجزة عن دونها . وتتضمن تلك الواجبات : دفع الضرائب ، والخدمة في القوات المسلحة ، وإظهار الولاء للمجتمع للنظام السياسي ، والمشاركة في الحياة المدنية والسياسية « [3] وتختلف الأدبيات التي اهتمت بموضوع المواطنة في تعداد مكوناتها ومقوماتها، حيث تحصرها بعض الأدبيات في مقومات ثلاث « مقوم نفسي – مقوم سياسي – مقوم قانوني

1 – مسعود موسى الربضي ، مرجع سابق ، ص 114

2 – خوني وريدة ، دور المدرسة في تنمية فيم الانتماء الوطني ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية " عدد خاص عن الملتقى الدولي الأول حول الهويات والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السيوسبوثقافية في المجتمع الجزائري ، ص 85

3 – د. عثمان العامر ، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر : دراسة نقدية من منظور إسلامي ، مجلة جامعة دمشق – المجلد التاسع عشر ، العدد الأول ، 2003 ، ص 231

« . بينما تحصرها أدبيات أخرى في خمس عناصر أساسية ، هي : الإحساس بالهوية – التمتع بحقوق معينة – الالتزام بمسؤوليات وواجبات محددة – مسؤولية المواطن في أداء دور ما في الشؤون العامة – قبول قيم اجتماعية أساسية »[1] .

وعلى العموم كان للعولمة تأثيرا مهما في إحداث تغييرات جوهرية في مفهوم ومقومات المواطنة التقليدية ، حيث « ساهمت العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إعادة تعريف مفهوم « المواطنة « والانتماء ، فحركات الهجرة الواسعة ، وانقسام الدول ، وتفتت المجتمعات ، وانفصال الأقليات ، والمطالبة المتزايدة بالاعتراف بالحقوق الثقافية والهوية القومية ، كلها أدت إلى الاهتزاز التقليدي لمفهوم المواطنة والانتماء ، وبروز الحاجة إلى تعريف جديد لمفهوم المواطنة القديم» [2]

ثانيا / المواطنة الرقمية : المفهوم والتجاذبات

تعرف المواطنة الرقمية بأنها « مجموع القواعد والضوابط والمعايير والاعراف والافكار والمباديء المتبعة في الاستخدام الامثل والقويم للتكنولوجيا والتي يحتاجها المواطنون صغارا وكبارا من اجل المساهمة في رقي الوطن » [3] .

ومن خلال التعريف السابق يتضمن تعريف المواطنة الرقمية جانبين هما : التوجيه والحماية . بمعنى ان المواطنة الرقمية هي « توجيه وحماية ، توجيه نحو منافع التقنيات الحديثة ، وحماية من اخطارها .. المواطنة الرقمية باختصار اكبر هي التعامل الذكي مع التكنولوجيا » [4] .

ويلاحظ من خلال التعريف السابق ان المواطنة هنا اكتسبت بعدا تقنيا هو نتاج امتلاك التكنولوجيا خاصة في القرن الحادي والعشرين . البعد التقني او الاتصالي اصبح متغيرا اساسيا في مفهوم المواطنة واحال هذا المفهوم الى كونه مفهوم تقني سمته الإنسان المواطن الذي يمارس نشاطه السياسي عبر الاستخدام الامثل للتكنولوجيا . بمعنى « أن التكنولوجيا اصبحت واقعا اقتحم حياة الإنسان وقيدها باغلال يصعب تخطيها لذا ينبغي ان يظهر الدور الواجب واللازم للعامل التكنولجي في بناء المواطن » [5] .

لقد أدى مفهوم المواطنة الرقمية الى تجاذبات وجدل عميق بين معارض ومؤيد ومتحفظ ليس فقط على استخدام هذا المفهوم بل ايضا على الانفتاح عليه . ويمكن في هذا الشأن رصد هذه التجاذبات في تياريين اساسيين هما :

- **التيار الانفتاحي ، او الاتجاه التحفيزي** ، وهو التيار او الاتجاه الداعي الى استخدام

1 – المرجع السابق ، ص 232 – 233

2 – مسعود موسي الربضي ، مرجع سابق ، ص 124

3 – مصطفى الفايد ، مفهوم المواطنة الرقمية ، مرجع سابق

4 – المرجع السابق

5 – محمد رمضان شعيب ، المواطنة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، اعمال المؤتمر العلمي لكلية الآداب – بني وليد تحت عنوان « المواطنة في عالم متغير ، ابريل 2010 ، ص 319

التكنولوجيا دون قيود او حدود او ضوابط ، اي الانفتاح الكامل وغير المشروط على التعامل التقني والتكنولجي في مجال الاتصالات والمعلومات وجعل المعلومات تتدفق دون اي تدخل من اي كان . وذلك بحجة الحق في الحصول على المعلومات كحق اساسي من حقوق الإنسان .

- **التيار الانغلاقي ، أو الاتجاه الوقائي** ، وهو التيار الذي يبدى تخوفات من الاستخدام غير المنظبط لوسائل التكنولوجيا وادواتها وقنواتها . ويعتبر ان هذا الاستخدام يضر اكثر مما يفيد وهو يهدد القيم والتوجهات التي يسعى النظام السياسي وعمليات التنشئية السياسية والاجتماعية الى غرسها كمنظومة قيمية في نفسية وعقلية المواطن .

- **التيار التوفيقي الوسطي** ، وهو التيار الداعي الى استخدام العامل التكنولوجي والاستفادة من وسائله وادواته ووسائطه وتوظيفها بشكل امثل في غرس القيم التي يستهدفها النظام السياسي والاجتماعي ، ولكن في الوقت نفسه يشدد على ضرورة وضع اساليب وسياسات وقائية تحول دون الاستخدام السيء لمنتجات ومخرجات التكنولوجيا . بمعني أن هذا التيار يدعو الى اتباع « سياسة وقائية وتحفيزية ، وقائية ضد اخطار التكنولوجيا ، وتحفيزية للاستفادة المثلى من ايجابياتها » [1] .

ثالثا / المواطنة الرقمية : المظاهر والتجليات

ترتبط المواطنة الرقمية كمفهوم وممارسة بـ المواطنة الافتراضية (Virtual Citizenship) ، وهي نمط جديد من العلاقات يجد أسسه في العالم الافتراضي أو الفضاء الاليكتروني الذي يعد نتاجا لجملة التحولات الهائلة والرهيبة « كماً وكيفاً» التي تحققت في مجال الإعلام والاتصال ، حيث شهد العالم تسارع وثيرة الاتصال الدولي وتقدم وسائله وسرعه انتقاله وتجاوزه لفكرة الحدود التقليدية ،إذ « تفجرت المرحلة الثورية التي استفادت من القفزة المعلوماتية الرقمية الكبيرة والتي ادخلها عصر الانترنت كوسيط معلوماتي وتثقيفي الذي زاد من تراجع قدرة الدولة على احتكار المعلومات والأخبار والسيطرة على الأفكار والقدرة على التوجيه والتضييق والرقابة »[2] .

وبالتالي فالمواطنة الرقمية تقوم في الأساس على تسخير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بغية تأسيس علاقات « مواطنية « جديدة تسبح في عالم افتراضي يتيح للفرد فرص أرحب للمشاركة والتعبير عن هويته وأفكاره بدون حدود أو قيود وتكوين علاقات فكرية في إطار مجموعات افتراضية يمكن أن تختزل وتخترق حدود الزمان والمكان أو ما عبر عنه البعض بنهاية الجغرافيا ونهاية الدولة التقليدية وبروز الدولة الافتراضية الذي « أطلق عليه » رتشارد روزكرانس R. Rosecrance تعبير الدولة الافتراضية (Virtual State) ، والتي تعني دولة

1 – مصطفى الفايد ، مرجع سابق

2 – غادة بشير فضل خيري ، دور ثورة المعلومات على قضايا حقوق الإنسان ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر العولمة ومناهج البحث العلمي ، جامعة أريس – لبنان ، ابريل 2014 .

تقلصت قدراتها الإنتاجية القائمة على الأساس الترابي / الوطني ، وهي نتيجة منطقية لهذا التحرر من الأرض » [1] . وبمعنى أخر أن « مواطنية » العالم الافتراضي الجديد لم تعد تكترث للحدود الجغرافية التقليدية والتي تجسد سيادة الدول بل أنها تتجاوز ذلك ولا يمكن السيطرة عليها فقد أدخلت على فكرة الحدود التقليدية مساحات أوسع وأرحب بحيث « لم تعد هذه المساحات تدل على أمكنة معينة وملموسة ، فقد أدخلت على هذا المفهوم قياسات أخرى تختلف عن القياسات التقليدية وتتضارب معها أحيانا . ففي الماضي كانت المساحة تمثل مجالا جغرافيا فقط ، أما الآن فالمجال ليس له مقاس محدد ، بل يعتبر بعدا اقتصاديا ونفوذا سياسيا » [2] .

والمعنى أن وسائل الاتصال الحديثة والجديدة قلصت حدود الزمان والمكان وفرضت نمطا جديدا من العلاقات والدلالات والمعاني وعلى صعيد اللغة والآليات . فمظاهر وتجليات المواطنة الرقمية تجد أساسها في الوسائط الاليكترونية الحديثة التي تعتبر من مكونات الإعلام الجديد من مثل شبكات التواصل الاجتماعي « الفيسبوك ، التوتير « وغيرها من الشبكات الاتصالية ذات البعد العالمي والتي أسهمت في دفع فكرة المواطنة العالمية من خلال الانضواء تحت مظلة « المجتمع المدني العالمي « الذي أصبح ذو تأثير عميق وكبير وواسع في السياسات المحلية والدولية ومن خلال ممارسة ما يمكن أن نطلق عليه « المواطنة الشبكية العالمية « عبر مؤسسات المجتمع المدني العالمي التي تضم تحت جناحيها أعضاء « مواطنون » تعكس قيمهم أنماطا من التعددية والتعايش والانتماء .

وبتعبير أو وصف أدق وأكثر وضوحاً يمكن القول أن فكرة المواطنة الافتراضية تعيش في « عالم من دون دولة ، من دون أمة ، من دون وطن ، فقط الوطن فهو الفضاء المعلوماتي الذي تصنعه شبكات الاتصال ، ذلك الفضاء الذي يحتوي ويسيطر ويوجه الاقتصاد والسياسة والثقافة » [3] وبمعنى أنه « يمكن أن يكون صعبا الجدل ضد وجهة النظر التي تقول أن العالم اليوم أكثر ترابطا مما كان عليه في أي فترة تاريخية مبكرة ، من خلال البث التليفزيوني الفضائي والانترنت والهاتف النقال والهجرة والسياحة والتجارة والحركة المكثفة بالعلامات والمعاني » [4]

رابعا / المواطنة الرقمية : القيود والتحديات

رغم ما يوفره الفضاء الافتراضي من فرص ومناخات متاحة لتحقيق وتجسيد مقومات «المواطنة الرقمية » ، إلا أن فكرة المواطنة الرقمية تواجه تحديات ومصاعب عدة على صعيد

1 – سعيد صديقي ، الحدود في زمن العولمة ، مجلة الدولية – جامعة القاضي بن عياض ، العدد الثاني 2006 ، ص 157
2 – محمد المعطاوي ، الليبرالية الجديدة والعولمة والثقافة ، مجلة فكر ونقد المغربية ، عدد 97 يناير 2008 ، ص 18
3 – على زيد الزعبي ، واقع المجتمع المدني العربي ومستقبله ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 35 ، العدد 1 ، 2007 ، ص 25
4 – توماس اريكسن ، العرقية والقومية : وجهات نظر انتروبولوجية ، سلسة عالم المعرفة 393 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أكتوبر 2012 ، ص 251

الممارسة والتطبيق وهي تحديات تتوزع على مكونات معنوية ثقافية ومادية يمكن إجمالها وتفصيلها في التالي :

- **تحديات معنوية وثقافية** : وهي تحديات نابعة من حقيقية أن طبيعة المواطنة الرقمية بقدر ما توفر مناخا للتعدد والتنوع فهي تفضي أحيانا إلى نوع من الاختلاف والتصارع النابع من طبيعة الاختلافات الثقافية والحضارية التي تفرز نفسها في العالم الافتراضي ،ذلك « إن من سمات العالم المعاصر أن يظهر الناس أكثر تماثلا وأكثر اختلافا في الوقت نفسه بسبب قوى الحداثة والعولمة » [1] . بل أن التماثل المنشود في ظل ظروف العصر الاليكتروني قد يتحول إلى تجاذب وصراع حول الهويات المختلفة ساحاته الأساسية العالم الافتراضي والأخطر أن هذا العالم الافتراضي أتاح الفرص أمام ظهور الهويات الفرعية الكامنة لتعبر عن نفسها بعد أن مورست في حقها كل أنواع الكبث والحرمان من قبل الأنظمة والحكومات التي تسيطر على السلطة وعلى الفضاء الثقافي التقليدية وهو ما يهدد استقرار عديد النظم والمجتمعات وينذر بمزيد من الانقسام والتشظي والصراع ، وبمعنى أوضح « إن الخصوصيات الثقافية ، تحول بلا شك ، دون انخراط كافة الهويات والشعوب في بوثقة ثقافية واحدة ، فنحن على العكس من ذلك ، نشهد انبعاث ثقافات متعددة وانتعاش كيانات ثقافية جديدة ، إذ جعلت الأجهزة المختلفة الأقليات والهويات الثانوية تنتبه إلى خصوصياتها الثقافية وتاريخها الفريد ، ولم تسلم حتى الولايات المتحدة نفسها من تأثير هذا الانتعاش الذي هز مشاعر الأقليات وكانت النتيجة تنازلها عن أهم قواعد فكرها السياسي الذي يرمي إلى صهر الهويات والأقليات في بوثقة الهوية الأمريكية »[2] .

السؤال الكبير الذي يطرح هنا هو : ما هي آفاق المواطنة الرقمية في ضوء التحديات الثقافية والاختلافات الحضارية والسياسية والأيدلوجية التي تواجهها ؟ . حيث ثمة جدل حقيقي يدور حول هذه الإشكالية تتنازعه رأيان :

- رأي يذهب إلى أن فرص المواطنة الرقمية العالمية تبدو أكثر حظاً ، وأنها وسيلة متاحة ومناسبة لتخطي حواجز النسبية الثقافية و القفز على صراعاتها ، حيث « توفر الانترنت وسائل عديدة للحوار بين الأفراد والجماعات والمؤسسات . ولهذا يمكن أن تكون ساحة لحوار مثير بين ثقافات الشعوب يثري هذا الثقافات ويمزج بينها ويحفزها للتلاقح بشكل إيجابي ومثمر . وبخاصة « أن تزامن الدخول للعصر الرقمي جاء مع تحولات اجتماعية كبرى فعملية إدماج الأفراد في المؤسسات التي تقوم تقليدياً بدورها الوسيط بين الحاكم والمحكوم و بناء الانتماءات ودفع الحراك الاجتماعي والسياسي يبدو وقد أصابها الوهن على أقل تقدير، فلم تعد تقوم بدورها، وهذا ما دفع الأفراد للتأقلم لبناء انتماءات جديدة والتعبير عن مصالحهم بشكل

1 – المرجع السابق ، ص 249

2 – احمد حيدوش ، العولمة والمقارنة الثقافية ، مجلة فكر ونقد المغربية ، العدد 97 ، ابريل 2008 ، ص 49

يتجاوز تلك المؤسسات التقليدية، مستندين على ما أفرزه الإنترنت من أدوات تعبير وتواصل، وكذلك إتاحة الفرصة أمام المواطنين لتشكيل تفضيلاتهم والاتصال بمرشحيهم ويصبح هناك مسئولية محاسبة عن طريق الاقتراع والتي تساهم في تفعيل الحراك السياسي.» [1] .

- بينما الرأي الثاني يقول بصعوبة تحقيق ما يسمي المواطنة الرقمية العالمية ويقر « بحتمية الصراع واستحالة الوفاق العالمي والاجتماعي ، بل هناك من يؤكد أن الانترنت ستؤدي إلى جرف حاد يفصل الثقافات والفئات الاجتماعية وسعيد فرز المجتمعات وفقا لمعايير عصر المعلومات » [2] .

في هذا الشأن هناك من يتحفظ على استخدام مفهوم المواطن العالمي الذي يستند على آليات العصر الرقمي حيث « أن التعريفات الواردة بصدد « المواطن العالمي « أو المواطن المعولم « لازالت تحمل قدرا من الالتباس والغموض بين من يعده ذلك الشخص المنفتح الذي يرى العالم بتشابكه وعلاقاته ومصالحه التي تعلو على كل مصلحة او انتماء سياسي او عرقي او ايدلوجي ضيق ، وبين من يرى فيه تحصلا طبيعيا للتحولات الدولية الراهنة المذهلة الجارية منذ بداية التسعينات من القرن الماضي باتجاه العولمة والاهتمام بقضايا ومخاطر مشتركة تتجاوز الحدود السياسية» [3] .

كما يتصل بعائق المكون الثقافي ما يمكن أن نطلق عليه تحدي « ثقافة التكنولوجيا» ومدى توفرها وانتشارها في المحيط الوطني وما مدى أهمية الوعي بها . ويمكن أن تعبر الفجوة الرقمية Digital Gap عن حقيقة وطبيعة هذا التحدي ، و التي تعبر عن الفروقات ما بين العالم المتقدم والعالم النامي في الاستخدام الكمي والوعي النوعي باستخدام وسائل وتقنيات الاتصالات والمعلومات ، حيث " إن معنى الفجوة الرقمية هنا لا يقتصر على فروقات كمية في الاستخدام لهذه الوسائل والتقنيات الحديثة ، بل أيضا في الآثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعرفية التي تتولد عنها . ومن هنا جاء الربط بين التوسع في استخدام هذه التقنيات الحديثة والسريعة التطور ، وبين اتساع فرص النمو للشعوب والمجتمعات المختلفة بما في ذلك الجماعات والمجتمعات الفرعية في البلدان المتقدمة نفسها »[4] .

– **تحديات مادية** : وهي تحديات تتصل بمدى توفر البنية التحتية اللازمة لتوفر البيئة المناسبة لوسائل الاتصال والمعلومات الحديثة ومدى انتشارها أفقيا وعموديا وطبيعة الشرائح التي تتعامل مع الشبكة المعلوماتية ومهاراتها وقدراتها . أو ما يمكن أن نطلق عليه « الجاهزية

1 – عادل عبد الصادق ، الديمقراطية الرقمية (سلسلة مفاهيم استراتيجية ، المركز العربي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، أكتوبر 2009 ، ص 40

2 – د. نبيل على ، المجتمع المدني المصري بين المحلي والعولمي والمعلوماتي ، مجلة قضايا فكرية ، عدد يناير 2005 ، ص 220

3 – د. ادريس لكريني ، المواطنة والمشترك ، موقع مواطنون بلا حدود للدراسات والابحاث ، ص 6

4 – د. حسن ابوطالب ، الفجوة الرقمية والتنمية في ظل العولمة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 180 ، ابريل 2010 ، ص 72

الاليكترونية »[1] . ويمكن القول أن اغلب دول العالم النامي تفتقر إلى البينة التحتية والأساسية اللازمة التي يمكن أن تستقطب أعدادا هائلة من المواطنين والسكان في التعامل مع وسائل الاتصال والمعلومات الحديثة ، وهو أمر يتصل أيضا بموضوع الفجوة الرقمية من ناحية أخرى ، كما أن سعي الحكومات وسلطات الأمن إلى ضبط ومراقبة « مقاهي النت « نت كافيه « وبصفة خاصة في دول العالم النامي يؤدي في العادة إلى عزوف المواطن عن الانخراط في العملية وعدم الإقبال عليها .علاوة على افتقاد أعداد كبيرة منهم للمهارات اللازمة للتعامل مع « الشبكة العنكبوتية « المعلوماتية ومع الحواسيب وأجهزة الكمبيوتر. إضافة إلى افتقارها إلى اللغة المناسبة للتخاطب والتواصل مع الآخرين إذ تبدو اللغات الأجنبية « الانجليزية – الفرنسية » هي اللغات السائدة في الخطاب المعلوماتي عبر وسائط الإعلام الجديد . وتكشف الإحصائيات عن الهوة الواضحة بين مستخدمي « النت » وتطور البنية التحتية الأساسية لاستخدام « النت» ومستخدميه وفي عالم الشمال المتقدم و عالم الجنوب المتخلف مما يفرض نوعا من الهيمنة الاتصالية الجديدة التي تجعل من مواطن الجنوب مجرد متلقي لا مرسل . وقبل عقد زمني كامل حسب إحصائيات 2004 فقد جاءت دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا في صدارة الترتيب العالمي لعدد المشتركين ب « النت » ويليها أوروبا ثم آسيا والمحيط الهندي يليها أمريكا اللاتينية وأخيرا أفريقيا والشرق الأوسط. كما في الجدول التالي[2] :

المنطقة الجغرافية	عدد المشتركين ب « الانترنت « بالملايين «
أمريكا وكندا	181,23
أوروبا	171,35
آسيا والمحيط الهندي	157,49
أمريكا اللاتينية	25,33
أفريقيا	4.015
المجموع	544,2

خامسا / الخلاصة والنتائج :

استعرضت هذه الورقة البحثية موضوع مهم يتعلق بفكرة المواطنة الرقمية في ظل ظروف

1 – المرجع السابق ، ص 75

2 – نقلا عن صفية خليفة مسعود ، واقع الصحافة الاليكترونية ، منشورات الهيئة العامة للثقافة والإعلام – ليبيا 2008 ، ص 102

ومناخ عصر الإعلام الجديد الذي يقوم على تكنولوجيا متقدمة ووسائل اتصال سريعة ومكثفة وطرحت الورقة في بداية هذا العرض منهجية الدراسة التي تضمنت التساؤلات البحثية وأهمية الموضوع والأهداف المتوخاة التي يسعى إليها الباحث وقد تناول الباحث في هذه الورقة التعريف بمفهوم المواطنة والإشكاليات التي تواجه هذا المفهوم ومكوناته وأسسه كما تناول الباحث مفهوم المواطنة الرقمية والآليات التي يقوم عليها هذا المفهوم وتأثير وسائل الإعلام الجديد في ترسيخ مفهوم المواطنة الرقمية ، ثم استعرض الباحث في نهاية هذا الجهد البحثي التحديات والقيود والمصاعب التي تواجه فكرة المواطنة الرقمية وهي تحديات تقنية مادية وأخرى ثقافية .

وفي ختام هذا العرض يمكن التوصل إلى النتائج التالية :

1 – مفهوم المواطنة مفهوم قديم لكنه متطور وديناميي ويخضع لمتطلبات العصر واستحقاقاته ، لكنه كمفهوم قانوني وسياسي يبقى مخلصا لمكوناته وأسسه .

2 – التطور الرهيب في مجال الاتصالات والمعلومات أدى إلى تحولات في مفهوم المواطنة وصار الحديث رائجا عن مفهوم المواطنة الرقمية ، كما إن العولمة بآلياتها ووسائلها ساهمت في إضفاء تحولات كمية ونوعية على مفهوم المواطنة بحيث تراجع المفهوم التقليدي للمواطنة الذي يرتبط بمفهوم الدولة القومية وسيادتها ، وصار الحديث واضحاً عن مفهوم المواطنة العالمية والمجتمع المدني العالمي الذي يسبح في فضاء الكتروني وافتراضي.

3 – مفهوم المواطنة الرقمية مفهوم ليس متفقا عليه من الناحية الفكرية والنظرية او من الناحية العملية وعلى صعيد الممارسة . ذلك ان ثمة تجاذب فكري حول ايجابياته وسلبياته . وثمة تيارات تتنازع هذا المفهوم ، في خط متصل تتوزع ما بين تيار انفتاحي ، وتيار انغلاقي ، وتيار وسطي توفيقي يطرح سياسات تحفيزية ويقابلها بنمط من السياسيات الوقائية .

4 – فكرة المواطنة الرقمية فكرة تواجه بتحديات ومصاعب عدة وهي تحديات تتعلق بالجوانب الثقافية التي تطرح مسألة الخصوصيات الثقافية والحضارية كما تطرح أيضا ما يمكن أن نطلق عليه « ثقافة التكنولوجيا « ومدى تغلغلها في الأوساط الجماهيرية . ومن جهة أخرى تطرح فكرة المواطنة الرقمية تحديات مادية تتصل بالبنى التحتية اللازمة لانتشار وسائل الاتصال الحديثة والجديدة ومهارات التعامل معها وطبيعة القيود الأمنية التي تفرضها الحكومات والأنظمة على هذه الوسائط .

المراجع والمصادر :

أولاً / الكتب :

1 – توماس اريكسن ، العرقية والقومية : وجهات نظر انتروبولوجية ، سلسة عالم المعرفة 393 ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أكتوبر 2012.

2 – صفية خليفة مسعود ، واقع الصحافة الاليكترونية ، منشورات الهيئة العامة للثقافة والإعلام – ليبيا 2008.

3 – عادل عبد الصادق ، الديمقراطية الرقمية (سلسلة مفاهيم استراتيجية ، المركز العربي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، أكتوبر 2009 .

ثانياً / الدوريات العلمية :

1 – احمد حيدوش ، العولمة والمقارنة الثقافية ، مجلة فكر ونقد المغربية ، العدد 97 ، ابريل 2008 .

2 – د. حسن ابوطالب ، الفجوة الرقمية والتنمية في ظل العولمة ، مجلة السياسة الدولية، العدد 180 ، ابريل 2010 .

3 – . خوني وريدة ، دور المدرسة في تنمية فيم الانتماء الوطني ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية « عدد خاص عن الملتقى الدولي الأول حول الهويات والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السيوسبوثقافية في المجتمع الجزائري .

4 – سعيد صديقي ، الحدود في زمن العولمة ، مجلة الدولية – جامعة القاضي بن عياض، العدد الثاني 2006 .

5 – .د. عثمان العامر ، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر : دراسة نقدية من منظور إسلامي ، مجلة جامعة دمشق – المجلد التاسع عشر ، العدد الأول ، 2003 .

6 – على زيد الزعبي ، واقع المجتمع المدني العربي ومستقبله ، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 35 ، العدد 1 ، 2007 .

7 – د. فتيحة اوهابيية ، في مفهوم المواطنة ، مجلة دراسات وأبحاث « الكتاب الدوري للمجلة – العدد الأول «، 2012 .

8 – محمد المعطاوي ، الليبرالية الجديدة والعولمة والثقافة ، مجلة فكر ونقد المغربية ، عدد 97 يناير 2008 .

9 – مسعود موسى الربضي ، اثر العولمة في المواطنة ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 19 – صيف 2008 .

10 – د. نبيل على ، المجتمع المدني المصري بين المجلي والعولمي والمعلوماتي ، مجلة قضايا فكرية ، عدد يناير 2005 .

ثالثاً / الأبحاث والمؤتمرات العلمية :

1 – غادة بشير فضل خيري ، دور ثورة المعلومات على قضايا حقوق الإنسان ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر العولمة ومناهج البحث العلمي ، جامعة أريس – لبنان ، ابريل 2014.

2 – محمد رمضان شعيب ، المواطنة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، اعمال المؤتمر العلمي لكلية الآداب – بني وليد تحت عنوان " المواطنة في عالم متغير ، ابريل 2010 .

رابعاً / المواقع الإليكترونية :

1 – د. ادريس لكريني ، المواطنة والمشترك ، موقع مواطنون بلا حدود للدراسات والابحاث.

2 – مصطفي الفايد ، مفهوم المواطنة الرقمية ، شبكة المعلومات الدولية 20 / 3 / 2014.